بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أمَّا بعد: أيُّها النَّاس، اتقوا الله تعالى واشكروه على مَا مَنَّ به عليكم أن بعثَ فيكم رسُولاً منكم يتلو عليكُم آياته ويُزكِّيكُم ويعلِّمُكم الكتاب والحكمة.

رسُولاً أخرجَكُم الله بِهِ من الظلمَات إلى النُّور: مِنْ ظلمَات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإيمان، ومن ظلمات الجَوْر والإساءة إلى نُور العدل والإحسان، ومن ظلمات الفوضى الفكرية والاجتماعية إلى نور الاستقامة في الهدف والسلوك، ومن ظلمات القلق النفسي وضيق الصدر إلى نور الطمأنينة وانشراح الصدر

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر:22].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ (١) ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ (٢)﴾ [إبراهيم:1-2].

لقد بعثَ الله نبيَّه محمَّداً ﷺ والنَّاسُ يتخبَّطون في الجهالات، ففتح لهم أبواب العلم في معرفة الله تعالى وما يستحقُّه من الأسماء والصفات وما له من الأفعال والحقوق، وأبواب العلم في معرفة المخلوقات في المبدأ والمنتهى والحساب والجزاء. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ (١٢) ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ (١٣) ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون:12-16].

وفتح الله لعباده بما بعث به نبيه محمداً ﷺ أبوابَ العلم في عبادة الله تعالى والسير إليه، وأبوابَ العلم في السعي في مناكب الأرض وابتغاء الرزق بوجهٍ حلال، فما من شيء يحتاجُ الناس لمعرفته من أمور الدين والدنيا إلا بيَّن لهم ما يحتاجون إليه فيه حتى صاروا على طريقةٍ بيضاءَ نقيَّة ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك ولا يتيه فيها إلا أعمى القلب.

لقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ والناس منغمسُون في الشِّرك في شتى أنواعه، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد المسيح ابن مريم، ومنهم من يعبد الأشجار، ومنهم من يعبد الأحجار، حتى كان الواحد منهم إذا سافر ونزل أرضاً أخذ منها أربعة أحجار فيضع ثلاثة منها تحت القِدْرِ وينصِبُ الرَّابعَ إلهاً يَعبُده، فأنقذهم الله برسُوله من هذه الهوة الساحقة والسفه البالغ من عبادة الأوثان إلى عبادة الرَّحمن فحقق التوحيد لرب العالمين تحقيقاً بالغاً، **وذلك بأن تكون العبادة لله وحده،** يتحقَّقُ فيها الإخلاص لله بالقصد والمحبة والتعظيم، فيكون العبد مُخلصاً لله في قصده، مُخلصاً لله في محبته، مُخلصاً لله في تعظيمه، مُخلصاً لله تعالى في ظاهره وباطنه لا يبتغي بعبادته إلا وجه الله تعالى والوصول إلى دار كرامته.

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام]. ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾ [الحج:34].

هكذا جاء كتاب الله تعالى وتلته سُنَّة رسوله ﷺ، **بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة** وسدِّ كلّ طريقٍ يمكن أن يوصِل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه حتى إن رجلاً قال للنبي ﷺ: «ما شاء الله وشئت». فقال النبي ﷺ: **«أجعلتني لله نداً؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»** [السلسلة الصحيحة:139]، فأنكر النبي ﷺ على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما وجعل ذلك من اتخاذ الندِّ لله عزَّ وجلَّ، واتخاذُ الندِّ لله تعالى إشراكٌ به.

وحرَّم النبي ﷺ أن يحلف الرجل بغير الله وجعَل ذلك من الشرك بالله، فقال ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ»** [السلسلة الصحيحة:2042]، وذلك لأنَّ الحلف بغير الله تعظيمٌ للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله عزَّ وجلَّ، **فلا يجوز للمسلم أن يقول عند الحلف:** (والنبي!) أو (وحياة النبي!) أو (وحياتك!) أو (وحياة فلان!) بل يحلف بالله وحده أو يصمت عند الحلف، ولمَّا سُئِل ﷺ عن الرجل يَلقَى أخاه فيُسَلِّم عليه، أينحني له؟ فقال ﷺ: **«لا»** [السلسلة الصحيحة:160] فمنع ﷺ من الانحناء عند التسليم لأن ذلك خضوعٌ لا ينبغي إلاّ لله رب العالمين، فهو سبحانه وحده الذي يُركَع له ويُسجَدُ، وكان السُّجُود عند التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة شريعة محمد ﷺ منعَت منه وحرَّمتهُ إلا لله وحدَه.

وفي الحديث أنَّ معاذ بن جبل رضي الله عنه قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم (زعمائهم) وذلك قبل أن يُسلموا فلمَّا رجعَ معاذٌ سجَدَ للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: **«ما هذا يا معاذ؟»** فقال: **رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله،** (يعني أحق من أساقفتهم بالسجود)، [أنظر مقالا بعنوان: "بيان ضعف ونكارة قصة سجود معاذ رضي الله عنه للنبي ﷺ"، للعلاَّمة ربيع بن هادي المدخلي وفقه الله، في مجلة الإصلاح الجزائرية، العدد20]، فقال النبي ﷺ: **«لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ، لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها»** [صحيح الجامع:5294]، من عظم حقه عليها. وروى النسائي بسند جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً جاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: **«يا رسُولَ الله، يا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا»** فقال ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَرَسُولُه اللهِ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عزَّ وجلَّ»** [السلسلة الصحيحة:1572].

ولقد بلغ من سَدِّ النبي ﷺ ذرائعَ الشِّرك ووسائِله: أن لا يترك في بيته صورةَ شيء يُعبَد من دون الله تعالى أو يعظَّمُ تعظِيم عبادة. ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لَمْ يَكُنْ النبيُّ ﷺ يَتْرُكُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا فِيهِ تَصَالِيبُ إِلَّا نَقَضَهُ**» [رواه البخاري: 5952]، و«**التصاليب**» هي الصلبان التي يتخذها النصارى شعاراً لدينهم أو يعبدونها، والصليب: كل ما كان على شكل خطين متقاطعين (هكذا عرفه صاحب المنجد)، ومعناه أن يكون على شكل خط مستقيم رأسه إلى فوق يعترضه خط رأسه إلى الجانب، سواء كان هذا الخط المعترض في وسط الخط المستقيم أو فوق وسطه، يزعم النصارى أن المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام صُلِبَ عليه بعد أن قُتِل.

وقد قال الله تعالى في القرآن مُكذباً مَنْ زعَمُوا أنَّهُم قتلوه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157] وقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ [النساء: 157-158]

فكان النصارى يقدسون الصليب يضعونه فوق محاريبهم ويتقلدونه في أعناقهم فكان من هدي النبي ﷺ إزالة كل ما فيه تصاليب حمايةً لجانب التوحيد وإبعاداً عن مشابهة غير المسلمين، ولقد كانت بلادنا هذه ولله الحمد من أعظم البلاد الإسلامية محافظة على توحيد الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ بما منَّ الله عليها من علماء مبينين وولاة منفذين وصارت عند أعداء الإسلام قلعة الإسلام، فغزوها من كل جانب بكل شكل من أشكال الغزو حتى كثرت الفتن فيها وصارت صُور الصلبان على بعض الألعاب للأطفال، بل وعلى الفرش لتكون نصب أعين المسلمين صبيانهم وكبارهم فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم احفظ لهذه الأمة دينها وقها شر أعدائها وأيقظ القلوب من الغفلة عما يراد بنا يا رب العالمين إنك جواد كريم.

المصدر: «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (2/ 238)

السؤال: فضيلة الشيخ، ما هو أوَّلُ واجب على الخلق؟

الجواب: أوَّلُ واجبٍ على الخلق، هو أوَّل ما يُدعى الخلقُ إليه، وقد بيَّنَهُ النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، فقال «**إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ**» [البخاري: 1496، ومسلم: 19(29)]، فهذا أوَّل واجبٍ على العباد، أن يوحِّدوا الله عزَّ وجلَّ، وأن يشهدوا لرسوله ﷺ بالرسالة. وبتوحيد الله سبحانه وتعالى، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة: يتحقَّق **الإخلاص والمتابعة** اللذان هما شرط لقبول كل عبادة.

فهذا هو أول ما يجب على العباد، أن يوحدوا الله، ويشهدوا لرسوله ﷺ بالرسالة، فشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن التوحيد كله.

السؤال: فضيلة الشيخ، لكن هل تشمل الشهادة أنواع التوحيد؟

الجواب: هي تشمل أنواع التوحيد كلها، إما بالتضمن وإما بالالتزام، وذلك أن قول القائل: أشهد أن لا إله إلا الله، يتبادر إلى المفهوم، أن المراد بها توحيد العبادة، وتوحيد العبادة الذي يسمى توحيد الألوهية مستلزمٌ بل متضمِّنٌ لتوحيد الرُّبوبية، لأنَّ كُلَّ مَنْ عبد لله وحدَه فإنه لن يعبده حتى يكون مُقِرًّا له بالرُّبوبية، وكذلك مُتضمِّنٌ لتوحيد الأسماء والصفات، لأنَّ الإنسان لا يعبدُ إلاّ مَن عَلِم أنَّه مُستحِقٌّ للعبادة، لما له من الأسماء والصفات.

ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: 42]، فتوحيد العبادة، وهو توحيد الألوهية، متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

المصدر: «فقه العبادات» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله (ص 4)

تحقيق التوحيد

وتخليصه من شوائب الشرك

خطبة جمعة لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

العلم الصحيح